## الصحافة الثقافية والصفحات الثقافية في الجزائر

### الإعلام الثقافي:

تتعدد وظائف الإعلام لتشمل تزويد الناس بأكبر قدر ممكن من المعلومات والحقائق الصحيحة قصد تنوير العقول، لأنه يقوم على البحث والتحري ليتم بعدها النشر على مختلف وسائل نشر الإعلام من صحافة مكتوبة، سمعية بصرية والوسائط الاليكترونية في السنوات الأخيرة.

تحتل الثقافة مجالا كبيرا في حياتنا اليومية لكونها تحمل بين طياتها مجمل الأشياء المكونة لفردية الإنسان ووجوده في هذا الكون، فيعتبرها البعض على أنها ما يبقى في الذاكرة عندما ننسى كل شيء والثقافة هي ما يتجلى من أثر حضاري لدى المجتمع وهي ما يعكس ملامح الهوية الوطنية في بعدها الإنساني والحضاري وهو ما نسعى إليه في ما نحمل من رسالة الإعلام.

يرتبط مفهوم الصحافة الثقافية بمفهوم الإعلام المتخصص الذي يحتاج بالضرورة إلى مادة إعلامية متخصصة وإلى رجل إعلام متخصص وحتى جمهور متخصص ،وبذلك تكون الصحافة الثقافية من بين أصعب أنواع الصحافة شأنها في ذلك الصحافة العلمية التي تتطلب تخصصا في الميدان. فهي أعمق من أن تكون عملا صحفيا وأوسع من أن تكون تأريخا لحدث ثقافي ،إنها الصحافة التي تجمع بين العمل الصحافي والثقافة بكل ما تعني الثقافة اليوم من تعدد في الحقول والميادين والمعرف وللأسف لا تعرف التجربة الجزائرية مثل هذا النوع من الصحافة المتخصصة .والصحافة الثقافية هي أولا وأخيرا صورة عن الثقافة نفسها ، وإذا كانت هذه الثقافة مأزومة فهل يمكن للصحافة الثقافية أن تنجو بنفسها من هذه الأزمة .

### الصحافة الثقافية في الجزائر :

هذا النوع لم يصبح منتشرا في الجزائر والعالم العربي إلا بعد الحرب العالمية الأولى فما كان موجودا هو عبارة عن صفحات تخصصها بعض الصحف العامة للأخبار الثقافية والدراسات العلمية

كما يجب أن نشير إلا أن الصحافة العربية كان وجودها في الجزائر نادرا لأن السلطات الاستعمارية كانت تحرص على أن لا يكون هناك كثيرا منها بين أيادي الجزائريين ،ومن هنا يمكن القول أن بداية الصحافة الثقافية في الجزائر كان مع بداية القرن 20 وهنا نتكلم عن دور كل من جريدة "جونار" وجريدة الأخبار باللغة الفرنسية

**دور جونار ( الوالي العام للجزائر ):**كان يوصف من طرف المعمرين بكونه عربيا وكانوا ينتقدون ميله للعرب وتشجيعه للثقافة العربية الإسلامية ،هو ضرورة حتمية ل اغير لبقاء فرنسا في الجزائر ، خلافا لما كان يراه المعمرون وانصار الاندماج فنظرية جونار هي أن سياسته العربية الإسلامية تدخل الطمأنينة في قلوب المسلمين ويبعدهم عن العنف والثورة

**دور جريدة الأخبار :**ظهور هذه الجريدة مقترن بعهد جونار في الجزائر الذي اتبع سياسة إشراك المسلمين في سياسة التعمير إذ كان يدير هذه الجريدة رجل فرنسي إسمه بروكاند معروف بشجاعته المعنوية والفكرية والتي استطاع بمواقفه بجريدته أن يهيمن على الفكر السياسي الجزائري الناشئ عند النخبة الجزائرية المكونة بالفرنسية والعربية ، إذ أنشأ أعمدة مخصصة لشرح مبادئ الإسلام والتعريف بالحضارة العربية في جميع أوجهها

فوجود هتين الجريدتين مهد الطريق لظهور الصحافة المتخصصة في الجزائر

كما لا يمكن أن ننكر دور بعض الصحف قبل هتين الجريدتين في نشر الثقافة من خلال تخصيص صفحات ثقافية من جرائدها ومنها جريدة المبشر (1848) والتي كانت تنشر مقالات ثقافية وقصائد شعرية وكان يكتب فيها محمد بن مصطفى بن خوجة و الحنفاوي وكذلك جريدة الصد التي كانت تصدر بباريس 1876 الذي كان يكتب في صفحاتها الثقافية علماء جزائريين أمثال الشيخ البدوي وغيره

**مراحل تطور الصحافة الثقافية في الجزائر :**

**المرحلة الأولى :** تبدأ من 1900 وتنتهي مع بداية الحرب العالمية الأولى ، إذ تعد هذه المرحلة مرحلة التكوين بحيث كان يصعب التميز بين الصحيفة الثقافية والصحيفة السياسية إذ كانت الصحف التي تصدر باللغة العربية هي التي يطغى عليها الطابع الثقافي ومن بين صحف هذه المرحلة صحيفة المغرب وصحيفة الإحياء

**المرحلة الثانية :** تمتد من الحرب العالمية الثانية وظهرت فيها مايسمى بالمجلة الثقافية ، كما تميزت بصدور مجلات ثقافية باللغة العربية

**المرحلة الثالثة :** تبتدأ باندلاع الثورة وما يميزها هو اختفاء المجلة الثقافية باللغة العربية ما عادا الدينية منها ،وكثرة المجلات الثقافية باللغة الفرنسية

إجمالا إن الصحافة الثقافية باللغة العربية لم تعرف رواجا في الجزائر بالمقارنة مع الصحف الأخرى نظرا للوضع السياسي الذي يعتبر عقبة كبيرة أمام رواجها

**هل هناك إعلام ثقافي في الجزائر؟**

ما نلاحظه في الساحة الإعلامية الجزائرية أن هناك أكثر من 150 صحيفة تقدم الزخم الهائل من القضايا والمعلومات التي تطرها للنقاش والتفاعل، إلا أنها تتجاهل بصفة مستمرة الجانب الثقافي الذي هو يعبر عن هوية الفرد القارئ بطريقة وبأخرى، فهو المرآة العاكسة لمستوى

تطور ونضج المجتمع الذي ينتجه أو يعيش فيه، وكذلك يعكس القيمة الأدبية والفكرية لكل من كاتبه وناشره قارئه

كما أن أغلب الوسائل التي تتحدث عن الشأن الثقافي يغيب فيها طابع التخصص، الأمر الذي يجعل الرسالة مشوهة الشيء الذي يجعلها لا تفرض نفسها في ظل إعلام مفتوح يحمل الكثير من الخيارات لجمهوره الواسع، بالإضافة إلى تضييق الأعمال والمبادرات الثقافية في مواسم معينة، فهنا نستطيع الحديث عن وجود صفحات ثقافية داخل الجرائد الجزائرية بدل من الحديث عن إعلام متخصص يحمل على عاتقه هموم الثقافة .

وفي السياق ذاته، يقول الشاعر سليمان جوادي "لا يمكن الجزم بأننا في الجزائر نملك إعلاما ثقافيا بالمعنى الوفي للكلمة•• كل ما هنالك اجتهادات متفاوتة تخضع لأمزجة القائمين على وسائل الإعلام المختلفة، مع أن الأمر يستدعي تصورا شاملا وخطة مدروسة، ويتطلب هذا الأمر الاستنجاد بالطاقات الإبداعية المعروفة في البلاد لإشراكها في الموضوع والأخذ برأيها من أجل إعلام ثقافي نوعي جاد لا يسهم في التعريف والترويج للعمل الثقافي فحسب؛ بل يشارك في صناعة الحدث الثقافي والأخذ بيد المواهب الصاعدة بكل موضوعية بعيدا عن المحاباة والمحسوبية وهمه في ذلك التعريف بثقافة البلاد والمساهمة في تطويرها"• ويواصل محدثنا "ولأننا لا نملك هذا التصور ونعدم هذه الخطة؛ نرى أن كثيرا من جرائدنا تهمل الجانب الثقافي ولا تلتفت إليه بالمرة، وجرائد أخرى تضحي بالصفحات الثقافية، غير مضطرة، إذا فاجأتها لوحات إشهارية•• وأقترح بالمناسبة أن تلجأ صحفنا إلى المثقفين الكبار للإشراف على أقسامها الثقافية وخاصة الصفحات الأدبية والجميع يذكر أن جريدة الشعب في سبعينيات القرن الماضي كانت تستنجد بالشاعر محمد أبو القاسم خمار وبالروائي المرحوم الطاهر وطار من أجل صفحاتها الأدبية•• وكيف أن جريدة المجاهد الأسبوعي كانت تقوم بنفس الأمر مع الشاعر الفلسطيني الكبير ابن الشاطئ، وقد تخرج أغلب أدبائنا في تلك الفترة من هذين الصرحين الإعلاميين من دون أن تكون هناك محابات أو محسوبية يشكو منهما أدباءنا في العصر الحالي مع الأسف •

**بين الصحافة الثقافية والصفحات الثقافية:**

إن الصفحات الثقافية والتي تعرف أيضا باسم الملاحق الثقافية : فهي تلك الممارسة الإعلامية للصحف والمجلات التي تعنا بالشأن الثقافي والتي يجد فيها المهتمين بالشأن الثقافي كل الجديد من إنتاج الشعراء والنقاد والصحفيين وأخبار الساحة الثقافية وغيرها من المهام التي يضطلع بها هذا النوع من الصفحات في الجرائد والمجلات، هذا بالإضافة إلى أنها لا تحتاج إلى صحفي متخصص سوى لصحفي مهتم بالشأن الثقافي ومحترف إلى حد بعيد.

وللإشارة توضع الممارسة الصحفية للشأن الثقافي عند الشعوب المتحضرة في قمة الممارسة الإعلامية لأنها الثروة الدائمة والباقية للأمم ، هي ثقافتها ، وهي صورتها التي تصل غيرها من الأمم ، كما أنها تكشف عن مستوى الذوق والإحساس الذي وصل إليه الحس الاجتماعي

**الصفحات الثقافية في الجرائد الجزائرية من الازدهار إلى الانحدار:**

إن المتتبع لشأن الصفحات الثقافية بالجزائر يدرك القيمة والأهمية التي حضيت بها المادة الثقافية بالصحافة المكتوبة في السنوات السابقة بدليل أن أكبر الصحف الجزائرية قد أخضت على عاتقها تخصيص ملاحق ثقافية تابعة لصحفها وفي هذا المجال نذكر تجربة الملحق الثقافي لجريدة الجمهورية سنة 1978بإشراف كل من الأستاذين: الحبيب السائح وبالقاسم بن عبد الله) وهو الملحق الذي استمر لمدة عقد من الزمن؛ وفي تلك الفترة تتابع ظهور ملاحق ثقافية لكل من جريدتي النصر والشعب. يقول الأستاذ بالقاسم بن عبد الله- في معرض تأسفه عن حال الملاحق الثقافية والثقافة عموما: المادة الأدبية والفكرية والتاريخية والعلمية تتموقع وتتقوقع في ركنها المظلم المهمل المهمَّش، وقد غابت الملفات والملاحق الثقافية التي برزت وانتعشت أيام مجد صحفنا الوطنية: الشعب، الجمهورية، النصر،ثم الخبر والأحرار والشروق، الجزائر نيوز لتفسح المجال واسعا أمام صفحات الإثارة والإشهار'وهو السؤال الملح فعلا بعد أن أصبح بالجزائر مثلا حوالي 120عنوان صحيفة ، إذ ثمة دور حاسم لملاك و رؤساء تحريروسائل الإعلام العربية في إستمرار هذا الملحق الثقافي أو توقفه ، يعود ذبك لمدى إيمان قادة المؤسسات الإعلامية بحساسية دور الثقافة في بناء وعي جمالي جمعي داخل المجتمعات العربية وخاصة في خضم التحولات التاريخية الكبرى التي تشهدها المنطقة

أما إذا أردنا أن نتتبع وضعيات هذه الصفحات الثقافية وما آلت إليه فسوف ندرك بأن الأخيرة تعيش أسوأ مراحل تطورها ، فأسوأ ما يواجه الصفحات الثقافية هو انحدارها بطئ نحو خانة الخانة الاستهلاكية ( أي ما يطلبه الجمهور ) أو ما يمكن أن يسمى بصحافة المنوعات والإثارة بحجة هذا ما يريده القارئ من معطيات ثقافية.

فمثل هذه الممارسات الإعلامية البعيدة كل البعد عن التعاطي الجاد والموضوعي مع المادة الثقافية جعل الصفحات الثقافية تعاني التراخي وقد احتلت للأسف وفق إحدى الدراسات المرتبة الخامسة بعد الصحافة الرياضية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية رغم أنها صحافة فكر ورؤية وتحليل.

وتعود الوضعية المتأزمة للصفحات الثقافية في الجرائد الجزائرية لمجموعة من المعطيات أهمها:

- سيادة الفكر الربح ( المادي) على ذهنية المحررين للصحف الجزائرية مما يجعلهم يستغنون عن نشر المادة الثقافية الجادة وتعويض بالمواد الإعلامية التي يطلبها الجمهور ( التي تتضمن الإثارة ) وفي بعض الأحيان بالصفحات الإشهارية بدعوى أنها غير جالبة للإعلانات مما يعني أنها أصبحت تشكل عبئا على الصحفية .فالإشهار أمر مهم جدا لوقوف الجريدة ،ولكن ألا يمكن اعتبار بقاء الصفحة الثقافية أمرا مهما هو الأخر ،وضرورة حضارية على الجريدة الحفاظ عليها

- افتقار الصفحات الثقافية للأقلام الجادة والمتخصصة ،و الأسوء في هذه الظاهرة هي الكتابة في موضوعات متخصصة كالنقد الأدبي والمسرحي والسينمائي من طرف أناس غير متخصصين في ظل غياب منطق للتدريب والتكوين المستمر.

- تهميش الصفحة الثقافية : إذ تحولت الصفحة الثقافية في الجرائد إلى مجرد رقم مهمل يتذكره رؤساء التحرير إلا عند وجود فراغ في أجندتهم اليومية أو عندما يكون المشهد الثقافي مرتبط بمناسبة رسمية او مرتبطة بالفضيحة أو حدث أقرب إلى المعنى الغرائزي أو ما يرتبط أيضا بعلاقات المصالح ، حتى على حساب الذوق والقيم والحس الجمالي الراقي .إذ يوجه أغلب المهتمين بالحقل الثقافي أصابع الاتهام إلى مالكي هذه الصحف الذين يعتمدون تهميش الصفحة الثقافي،ويحرصون على العناية الفنية إخراجا وتلوينا وتشويقا للصفحات السياسية والرياضية والفنية بما يخدم التوجه العام للصحيفة ، وبما يتطلبه منطق السوق دون مراعاة الربح والخسارة، على أساس أن جمهور المثقفين جمهور قليل مقارنة مع جمهور الرياضة والفن

- افتقارالصفحات الثقافية إلى المقالات العميقة والهادفة ،فأصحاب الصحف في معظمهم باتوا يختارون لهذه الصفحات صحافيين عاديين أو مبتدئين أوغير محترفين

- غياب رؤية حقيقية و مسؤولة للمشهد الثقافي وأهميته في ظل تدحرج الذوق العام نحو الانحدار بعيد عن الجمالية والتحضر.

- من بين عوائق الإعلام الثقافي الخلط بين الثقافة المتخصصة الموجه للقارئ المتخصص والصفحة اليومية التي تستوجب التبسيط للقارئ العادي،وأيضا الذي يقع فيه بعض صحفي الثقافة بأن تبسيط اللغة هو تسطيح الفكرة أو قد ينظر إليه على أنه غير مثقف

- تراجع دور الصفحات الثقافية في ظل الثورة التكنولوجية الحاصلة :إذ كانت الصفحات الثقافية في السنوات السابقة من أكثر المصادر المعرفية التي يهرع إليها المهتمون بالعمل الثقافي وبمساراته لمعرفة الجديد من إنتاج الشعراء والنقاد والصحفيين وغيرها من أخبار الساحة الثقافية ، بيد أن هذا الواقع المستشرق سرعان ما تراجع بتأثير التكنولوجيات وعلى رأسها الأنترنت التي فتحت الباب على المبدعين بمصرعيه من أجل نشر وعرض منتجاتهم بغير حذف وتضيق ،وتنتهي بذلك مقولة أن هذه المادة غير صالحة للنشر لدوافع تتعلق بالسياسة التحريرية أو لاعتبارات لغوية وأسلوبية وغيرها من الممنوعات المصاغة في الصحافة ، فضلا عن المساحة اللامحدود التي مكنت جميع المبدعين على اختلاف أجناسهم الثقافية ( شعر ،أدب ، قصة ...) من مواكبة حركة النشر الثقافي.

- غياب التحفيز المادي والمعنوي للصحفيين العاملين على الصفحة الثقافية ، حيث أن هناك قاعدة أساسية في الممارسة الإعلامية بدأت تفرض نفسها وهي توجيه الصحفيين المبتدئين للأقسام الثقافية ، فهو غير مؤهل ليكون في الأقسام الأخرى.

- غياب التنسيق والتشاور بين الهيئات الإدارية المنظمة والمشرفة على تنظيم التظاهرات الثقافية والهيئات الصحفية فضلا عن انتهاج سياسة التقشف والتفضل على وسائل الإعلام المكتوبة بمعلومات هي أقرب إلى الأوامر في أوراق ترسلها عبر أجهزة الفاكس تطلب من الصحفي كتابة أو إعداد تقرير صحفي حول الحدث الثقافي العظيم في رسالة ضمنية منها لكتابة تقرير إداري بالدرجة الأولى وليس إعلامي المراد منه الثناء بالدرجة الأولى على الإداريين المشرفين عن تنظيم التظاهرة من أجل رفع سقف أرصدتهم عند السلطات العليا بالبلاد وما ينتج عن تلك الضغوطات غير المباشرة على الإعلاميين هي صناعة أقلام وأصوات مستعدة لتقديم خدماتها دون هوادة للمؤسسات المنظمة للنشاطات الثقافية على حساب القيم الثقافية والحقائق الفكرية.

**خاتمة :** لقد ساهم حال الصفحات الثقافية في الجرائد الجزائرية إلى تراجع الذوق العام و انحداره بعيدا عن القيم الجمالية والحضارية ،وفي سبيل النهوض بحال الصفحات الثقافية بالجرائد الجزائرية يمكن أن نقدم مجموعة من الاقتراحات أهمها:

- العودة إلى نظام الملاحق الثقافية حتى يجد قراء النخبة مادة ثقافية ترتقي و مستواهم الثقافي

- الاستثمار في العنصر البشري العامل على الصفحات الثقافية من خلال تكوينه وتدريبه من أجل صناعة أقلام ثقافية جادة

- الاهتمام أكثر في معاهدنا الإعلامية بالإعلام المتخصص الذي أصبح معيار من معايير تقدم الأمم و الشعوب.

وفي الأخير تبقى الثقافة صانعة للأمم والشعوب لذا يجب على المسؤولين على السياسة الثقافية ومسيريها صناعة إعلام ثقافي جاد من شأنه خلق صورة إيجابية عن الثقافة الجزائرية في عيون الآخرين.